

ألمانيا النازية لم تنته بعد ولهذا السبب تدعم "إسرائيل"



ترجمة وتحرير: نون بوست

لقد فشل الحلفاء في تطهير أوروبا من النازية بسبب فشلهم في تفكيك الأسس السياسية التي كانت دولهم تتقاسمها مع النظام النازي، ولا ينبغي للأوروبيين أن يكرروا هذا الخطأ.

إن موقف ألمانيا الثابت في دعم الإبادة الجماعية في فلسطين يثير السؤال: كيف يمكن للبلد المعروف بمحاسبته المفترضة على الذنب عن الإبادة الجماعية الماضية أن يكرر مثل هذه الأخطاء المماثلة؟ إن فهم ماهية النازية - ليس الجرائم التي ارتكبتها، بل طبيعتها كرؤية اجتماعية سياسية - يساعدنا على فهم كيف ولماذا فشل الحلفاء عمدًا في إزالة النازية من ألمانيا، ولماذا لا يزال شبح الفاشية يطارد فلسطين وأوروبا والعالم اليوم. كما يساعدنا على فهم كيف أصبح الحل بين أيدينا.

فهم الركائز الأساسية للمشروع السياسي النازي

إن النازية ليست دافعًا إجراميًا غير سياسي، بل مشروع سياسي إجرامي مبني على ثلاثة ركائز أساسية: تسييس الهوية، والاستعمار، والرأسمالية.

إن كل الدول تميز بين المواطنين وغير المواطنين، ولكن النازية أقامت فصلًا بين الداخل والخارج على أساس الهوية، فاستبعدت المواطنين الألمان من الهويات التي اعتبرتها غير مرغوبة.

ومن المثير للاهتمام أن زعماء النازية كانوا يشيرون في صياغة برنامجهم السياسي إلى قانون الفصل العنصري الأمريكي. فقد استندت كتب مثل "دليل الاشتراكيين الوطنيين للقانون والتشريعات لسنتي 1934 و1935" و"قانون العرق في الولايات المتحدة" لهينريش كريبجر سنة 1936 إلى السوابق الأمريكية إلى حد كبير، فلم تجد دولة أخرى لديها نماذج مماثلة للتشريع العنصري. وقد ألهمت أبحاث كريبجر قوانين نورمبرج، التي أدخلت حيز التنفيذ التمييز الذي مارسه الحزب النازي في وقت مبكر ضد الألمان اليهود والفجر والسود.

وعبر تسييس النازية للهوية عن نفسه بطريقة استعمارية؛ حيث أخذ مرة أخرى الإلهام المباشر من التوسع الأمريكي غربًا عند وضع إستراتيجياتها لغزو بولندا وجيرانها السلاف. لقد درس هتلر نفسه علم تحسين النسل الأمريكي بعناية وتبنى دعاية مماثلة لتبرير عمليات الإبادة الجماعية التي ارتكبتها حزبه. والواقع أن التوسع النازي والتطهير العرقي لم يكونا جديدين على الدول الأوروبية، والفارق هو أن دولاً أخرى مثل إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وهولندا والمملكة المتحدة استعمرت واستعبدت ونظمت عمليات إبادة جماعية في المقام الأول خارج أوروبا. وفي نظر الأوروبيين؛ يبدو أن خطيئة ألمانيا النازية لم تكن تتمثل في مشروعها الاستعماري في حد ذاته، بل في المكان والأشخاص الذين فُرض عليهم هذا المشروع.

ولم تكن الاشتراكية الوطنية اشتراكية على الإطلاق؛ بل كانت رأسمالية في جوهرها. ولعبت الرأسمالية دورًا مباشرًا في صعود هتلر إلى السلطة، فقد انتهت الحرب العظمى في أوروبا بفرض قيود شديدة على سيطرة ألمانيا على الفحم وحجم جيشها، الأمر الذي أثر بشدة على صناعتها.

وكان من مصلحة الرأسماليين الصناعيين دعم البرنامج السياسي النازي الذي وعد بتحدي هذه القيود وحمايتهم أيضًا من "التهديد" الشيوعي المتزايد لمليكتهم الخاصة لوسائل الإنتاج الصناعي. ولقد مولوا الدعاية والحملات السياسية للحزب النازي، وضغطوا على الرئيس هيندنبورج لتعيين هتلر مستشارًا، ووافقوا على "قانون التمكين" الذي عزز دكتاتورية هتلر.

وليس من قبيل المصادفة أن يتمتع الرأسماليون الصناعيون الألمان بعلاقة وثيقة مع الولايات المتحدة، ليس فقط قبل الحرب (كان لأكثر من مائة شركة أمريكية مصالح في ألمانيا، بما في ذلك جهود إعادة تسليحها) ولكن أيضًا أثناء الحرب (استمرت شركات أمريكية مثل آي بي إم في دعم الإنتاج الحربي الألماني، والذي توسع بالفعل تحت قصف الحلفاء، والذي لاحظ وزير الخزانة الأمريكي مورغنثاو أنه تجنب المصانع الألمانية إلى حد كبير)، وبعدها (لم يتلق الصناعيون الألمان الذين استثمروا بكثافة في النظام النازي واستخدموا عمالة العبيد في معسكرات الاعتقال أكثر من صفقة على المعصم).

هل نجح الحلفاء في إزالة النازية من ألمانيا؟

لقد أدى انتصار الحلفاء على النازيين إلى إثارة التساؤل حول كيفية تطهير ألمانيا من النازية. فبدلاً من الاعتراف بعلاقات القوة الهوياتية والاستعمارية والرأسمالية التي مكنت النازية، وتنفيذ برنامج سياسي سعى إلى تفكيك هذه العلاقات، اختار الحلفاء التركيز على الجرائم التي نتجت عن هذه العلاقات.

وكان هذا ضروريًا للحفاظ على الذات؛ حيث إن الحلفاء، كما رأينا، كانوا مذنبين في الأساس بنفس أشكال العنف السياسي. وعلى حد تعبير الأكاديمي والمؤلف والمعلق السياسي الأوغندي محمود ممداني حول هذه القضية: "من خلال تفسير النازية بشكل ضيق كمجموعة من الجرائم التي ارتكبتها الألمان بدلاً من كونها تعبيرًا عن القومية، حمت القوى المتحالفة نفسها ومواطنيها من التدقيق ... خشية أن تُضطر إلى تحمل المسؤولية عن عنفها القومي في الداخل وفي مستعمراتها.. فمن خلال الحد من المسؤولية على الألمان؛ تجنب الحلفاء مواطنيهم الذين تعاونوا مع النازيين. لو تم فهم النازية بدلاً من ذلك كمشروع سياسي، لكانت كل هذه الحقائق غير المريحة - ولكن الحيوية - على الطاولة، مما قد يؤدي إلى إعادة تصور ثورية للتنظيم السياسي الحديث".

الفشل في نزع النازية وآثاره على أوروبا وفلسطين

لقد حافظت ستارة الدخان لبرنامج نزع النازية الاسمى الذي تبناه الحلفاء على تطبيع الافتراضات الرأسمالية والاستعمارية في الوعي الاجتماعي والسياسي الأوروبي الأوسع وعمقته. إن اختيار تحميل ألمانيا المسؤولية كدولة وشعب بدلاً من النازية كبرنامج سياسي (الذي عارضه بعض الألمان ودعمه بعض

غير الألمان) كان في حد ذاته تكرارًا للهويات. لقد ترسخ تسييس الهوية، الأداة المركزية التي يستخدمها الاستعمار لتفتيت المجتمعات، في أوروبا على حساب نفسه.

إن ترسيخ العقليات الهوياتية هو من بين العوامل التي حركت الصعود الأخير لليمين المتطرف في أوروبا اليوم. فعلى سبيل المثال؛ يلاحظ الديمقراطيون السويديون (حزب يميني متطرف) ارتفاع معدل الجريمة في الأحياء التي يسكنها مهاجرون أكثر حداثة.

وقد يكون السبب الحقيقي وراء هذا المعدل المرتفع للجريمة هو انخفاض جودة الخدمات الاجتماعية في هذه الأحياء، ولكن بدلاً من ذلك، يتم إلقاء اللوم على هوية المهاجرين. من ناحية أخرى؛ غالبًا ما يقع اليسار الأوروبي في نفس الفخ؛ حيث يقدم دعمًا غير مشروط لمجموعات الهوية المهمشة بدلاً من معالجة الجذور السياسية للمشاكل التي يواجهونها. وبعبارة أخرى، يحول هذا الفخ "نحن ضدهم" إلى "نحن معهم"، الأمر الذي يعزز الانقسام القبلي بين "نحن وهم".

وأدى الفشل في نزع الطابع السياسي عن الهوية في أوروبا إلى تمكين الحروب، بما في ذلك الحروب الأهلية، استنادًا إلى افتراض مفاده أن الهوية ينبغي أن تحدد الحدود التي يعيش فيها المرء، وهذا يعني أن الدول والمجتمعات ينبغي أن تكون أحادية العرق في الوضع المثالي. وتشكل تجزئة قبرص على أسس عرقية أو تجزئة يوغوسلافيا إلى كوسوفو المسلمة، وكرواتيا الكاثوليكية، وصربيا الأرثوذكسية أمثلة بارزة على ذلك. وفي الآونة الأخيرة؛ استشهدت روسيا بالعرقية الأوكرانية الشرقية لتبرير حربها هناك.

ودعم أوروبا للصهيونية هو أيضًا تكرار للهوياتية، ولكن بدلاً من تقديم تعويضات لجميع ضحايا النازية الفعلين، بما في ذلك بالطبع اليهود الأوروبيين الذين ألحقت بهم الأذى، والتحرر من استهداف النازية لليهود، قبلت أوروبا فرضيات النازية وعوضت الحركة الصهيونية التي ادعت أنها تمثل إرادة جميع اليهود في العالم، والتي تجسدت في "إسرائيل"، ما يسمى "الدولة القومية للشعب اليهودي [حيث] يكون تحقيق الحق في تقرير المصير الوطني حصرًا للشعب اليهودي".

وهكذا مكنت أوروبا، بل وتسببت في تقسيم فلسطين والتطهير العرقي لها، حتى المحرقة اليوم. إن حقيقة أن معادئ السامية يشتركون في الرؤية الطائفية للصهيونية وللهوية اليهودية تلقي الضوء على سبب قول هرتزل إن "معادئ السامية هم حلفاء الصهيونية"، فهل هناك أي فرق جوهري بين هتلر أو نتياهو أو حاخام الكنيس الكبير في باريس الذي يقول إن "اليهود ليس لهم مستقبل في أوروبا"؟

إن دعم ألمانيا للإبادة الجماعية في غزة يشترك في نفس الجذور الاجتماعية والسياسية التي دعمت بها عمليات الإبادة الجماعية الأخرى التي ارتكبتها "الغرب" طوال تاريخه، فلقد فشل الحلفاء في نزع النازية من أوروبا بسبب فشلهم في تفكيك الأسس السياسية التي كانت دولهم تشترك فيها مع النظام النازي. ولا ينبغي للأوروبيين أن يكرروا هذا الخطأ؛ حيث إن نزع النازية من أوروبا اليوم يعني إنشاء دول تعمل كأدوات وظيفية لإدارة شؤون المجتمع بدلاً من الدول التي تسلم الهويات، داخليًا أو خارجيًا.

ولا يمكن تحقيق هذا إلا من خلال الحركات السياسية التي لا تسعى فقط إلى معالجة أعراض الحكم غير الأخلاقي، بل وأيضًا التي تعترف بتسييس الهوية والاستعمار والرأسمالية باعتبارها الأمراض الكامنة. ولا بد أن تسعى مثل هذه الحركات إلى ما لا يقل عن الاضطراب الكامل لمئات السنين الماضية من التاريخ الأوروبي، وهو المسعى الذي من شأنه أن يجعل من الممكن إقامة أوروبا حرة، وفلسطين حرة، وعالم حر.

المصدر: موندويس